Self consciousness and the freedom in the theory of art for Hegel

Dr. Bouchra Abbas*

(Received 5 / 9 / 2021. Accepted 2 / 11 / 2021)

□ ABSTRACT □

This research takes up hegel's conception of consciousness and how it may be achieved. In addition to the possibility of this consciousness to be rspresented in both individual and historical contents so that it finds its justification in history more than inside the logical theory of Hegel it self. After that, this research moved to discuss the human self after having achieved its consciousness crossing to afrom ofinner liberation reflected in its historical dynamism based on individval awareness. Since it is impossible for this self to attain its freedom away from being conscious its essence together with its hystorical dynamism, Art's one of the main aspects of this dynamism knowing that consciousness in evitably produces a sum of relation between history and human self. The same reseach finally discussed the position of Hegel's Art theory between knowledge and history, and demon strated that the objective of art is to detect the position of history in arts activity because art and history are inseparable that art's types is the history but the content of art is the historical identity.

Keywords : Self consciousness, freedom, Art, History.

* **Associate Professor, Department Of Philosophy In The Faculty Of Arts And Humane Science, Damascus University, Damascus-Syria(.Email; Dr.Bochra.Abbas@Gmail.Com).**

الوعي الذاتي والحرية في نظرية الفن عند هيغل

د. بشرى عباس *

(تاريخ الإيداع 5 / 9 / 2021. قبل للنشر في 2 / 11 / 2021)

□ ملخّص □

تناول هذا البحث مفهوم الوعي عند هيغل وكيف يتحقق هذا الوعي، ثم كيف يمكن لهذا الوعي أن يكون متمثلاً في مضامين ذاتية وتاريخية معاً، بحيث أن هذا الوعي يجد مبرره في التاريخ أكثر مما هو وعي داخل النظرية المنطقية لهيغل، وبعد ذلك انتقل هذا البحث ليناقش الذات بعد أن حققت وعيها وانتقلت إلى شكل من التحرر الداخلي الذي ينعكس في نشاط هذه الذات التاريخي القائم على الوعي الذاتي، إذ لا يمكن لهذه الذات أن تحقق حريتها إلا من خلال وعيها لذاتها ووعيها لنشاطها التاريخي، هذا النشاط الذي يمثل الفن أحد أوجه الأساسية باعتبار أن الوعي لابد أن يفرز جملة من العلاقات بين الذات والتاريخ، وتطرق هذا البحث أخيراً إلى موقع نظرية الفن عند هيغل بين كل من المعرفة والتاريخ، وبيّن البحث أن الهدف الأكبر لنظرية الفن عند هيغل إنما يسعى إلى الكشف عن موقع التاريخ في النشاط الفني بحيث يكون شكل الفن هو التاريخ، أما مضمون الفن فهو ماهية التاريخ.

الكلمات المفتاحية: الوعي الذاتي، الحرية، الفن، التاريخ

* أستاذ مساعد، قسم الفلسفة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة دمشق، دمشق، سوريا. bochra.abbas@gmail.com

مقدمة

يناقش هيغل فكرته العامة والمركزية وهي الروح المطلق من خلال تعيناتها في التاريخ، ويبرز الفن كواحد من هذه التعينات بحيث تعبّر الروح عن نفسها في التاريخ داخل الفن، ولكن تعبير الروح عن ذاتها فنياً ينطوي على الكثير من المسائل ذات الأهمية المنهجية والمعرفية والتاريخية، فلا يمكن للروح أن يعبّر عن نفسه في العمل الفني خارج إطار الوعي، فنجد أن الوعي هو المطلب الأساسي لنظرية هيغل العامة، أي لفلسفته القائمة على ترابط الروح مع التاريخ هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن لهذا الوعي مجموعة من المضامين التي لا يمكن أن يصبح وعياً إلا من خلالها، وطالنا أن الوعي هو شرط أساسي لتحقق الروح في التاريخ، فإن هذا الوعي هو أيضاً شرط أساسي لتحقق النظرية الفنية التي تهدف في النهاية إلى تحقق وتعيّن الروح في النشاط الفني الإنساني، ولهذا نجد أن هيغل كان قد اهتم بالفن الرومانسي، أي مرحلة الفن التي تصل فيها الروح إلى وعي عقلي وكل ذلك بالطبع لا يمكن فهمه داخل نظرية هيغل الفنية، إلا إذا فهمنا هذا الجدل بين المعرفي والتاريخي، فقيمة الفن ليست فقط في القيمة الجمالية بل بما يفرزه هذا الفن على صعيد المعرفة حيث المعرفة هنا هي الهدف الذي يرتكز إليه كل أشكال النشاط الفني وأكثر من ذلك فإن هذه المعرفة غير ممكنة إلا إذا ارتبطت بمفهوم التاريخ من حيث إن التاريخ هو روح وماهية العمل الفني، وإذا كان التاريخ هو كذلك فإن النشاط الفني يجسد من حيث الشكل والمضمون فكرة التاريخ عند هيغل.

أهمية البحث وأهدافه

أهمية البحث:

تنبع أهمية هذا البحث من أنه يناقش النظرية الفنية عند هيغل من مواقع متعددة منها الوعي ومضامين هذا الوعي ودوره في النشاط الفني الذي هو نشاط واعي يعبّر عن فعل الذات الإنسانية من جهة وعن تحقق الروح داخل التاريخ من جهة أخرى.

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى الكشف عن دور كل من الوعي وخصوصاً الوعي الذاتي، ثم الحرية الفنية التي هي حرية الذات في تشكل الفن وقيمة كل من الذات والحرية الذاتية داخل نظرية هيغل، كما يهدف أيضاً إلى وضع نظرية هيغل في سياقها المعرفي والتاريخي حول تطور الفن في التاريخ.

منهجية البحث:

استعنا في هذا البحث بمنهج النقدي التاريخي باعتبار أن موضوع البحث ينطوي بشكل أو بآخر على فلسفة التاريخ، هذه الفلسفة التي يعبر عنها هيغل أحد مؤسسيها الكبار.

النتائج والمناقشة

أولاً: مضامين الوعي عند هيغل:

تطرح مسألة الوعي جملة من الأسئلة التي تتعلق بطبيعة الوعي من جهة، ثم الكيفية التي يعبر فيها الوعي عن وجوده داخل فلسفة ما أو مذهب فلسفي معين من جهة أخرى، وإذا كان الحال يتعلق بالوعي داخل الفلسفة المثالية

بشكل عام فلابد هنا أن نلاحظ أمراً مهماً، وهو أن الوعي في نطاق المثالية يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالعقل الكلي داخل هذه الفلسفة، ذلك أن الفلسفات المثالية تطرح مسبقاً وجود العقل ثم تنطلق للبحث في تعينات هذا العقل، وهذا يعني أيضاً أن الوعي هو وعي في التاريخ بقدر ما هو تحقق تاريخي للعقل هنا وهناك، وطالما أن موضوع الوعي الذي نحن بصدده الآن، أي الوعي الذاتي داخل الفلسفة الهيغلية من منظورها الفني والجمالي فإننا لابد أن نتحدث عن هذا الوعي في تتبع آليات تطور النظرية الهيغلية لمفهوم العقل داخل التاريخ وكيف يبدو أن العقل لا ينتج وعياً مباشراً ونهائياً بل أن هذا الوعي يسلك طريقا طويلاً لكي يتحقق وبالفعل فإن مناقشة الوعي الذاتي في نظرية الفن عند هيغل تكشف لنا عن البعد الجدلي لتكون هذا الوعي فليس هناك من وعي بالأشياء إلا من خلال تطور كل من مادة الفن ومضمونه وهو ما ينعكس على الوعي الذاتي، وهو في حالتنا هنا الوعي الذاتي الفني، وقد أشار هيغل فعلاً إلى ضرورة الوصول إلى درجة كبيرة من التكيف في علاقة المضمون الفني بالمادة الفنية وما ينتج عنها من وعي ذاتي، وقد تحدث هيغل عن هذا الأمر في معرض حديثه عن الفن الشرقي عندما يقول:" إذا لم تكن المادة الطبيعية قد تكيفت بعد تكيفا حقيقياً مع المضمون، فهذا لأن المضمون نفسه لا يكون قد غدا أهلا بعد لهذا التكيف، لا يمكن إذا أن يتحقق التوافق بين الأثنين إلا بفضل تعين مجرد وتلك هي مميزة الفن الرمزي أو الشرقي"[1].

وبدون هذا النضوج أو هذا الوصول إلى درجة عالية من التكيف بين مادة الفن ومضمونه في توسطات الوعي الذاتي، فإننا لا نقف إلا على إدراكات ضبابية وغير واضحة لأن الوعي الذاتي هنا لم يصل إلى هذا الوضوح في حال غياب درجة التكيف بين كل من المضمون والمادة الفنية، وفي المرحلة التي كان فيها الإنسان عاجزاً عن تأكيد هذا الوعي بوصفه نتاجاً لعلاقة جدلية بين مضمون الفن ومادته، فإننا نجد أن هذا الإنسان لم يستطع أن يعبر عن وعيه إلا بطريقة أيضاً غير محددة كما يراها هيغل وظل الوعي الإنساني يلجأ إلى ما هو رمزي ومجرد من أجل التعبير عن مواقفه الوجودية من خلال تعبيرات فنية تقوم بشكل أساسي على الرمز طالما أن هذه العلاقة بين المضمون والشكل الحسي لم تصل بعد إلى نضوجها المطلوب داخل التعينات التاريخية للروح المطلق ويشرح هيغل هذه المسألة فيقول:" إن الاهتمام الرئيسي للفن أن يجعل التصورات الموضوعية البدائية والأفكار الأساسية العانة قابلة للإدراك من قبل الجميع. لكن بالنظر إلى أن هذه التصورات والأفكار مجردة، مبهمة، لا محددة، يلجأ الإنسان، كيما يتمكن من تمثلها إلى وسيلة مجردة هي الأخرى، يلجأ إلى المادي، إلى الثقيل إلى المصمت ليعطيه شكلاً واضحاً، لكنه ليس عينياً ولا روحياً حقا في ذاته وفي مثل هذه الشروط لا يمكن أن تكون العلاقة بين المضمون والشكل الحسي، وهي العلاقة التي بفضلها يقيض للمضمون الانتقال من تمثل إلى تمثل، إلا من طبيعة رمزية. فالمبنى الذي يكون الغرض منه الكشف للأخرين عن مدلول عام، لا يكون له من هدف سوى هذا الكشف، ويشكل لهذا السبب رمزاً– مكتفياً بذاته– لفكرة أساسية، لها قيمة عامة ولغة خرساء برسم الأذهان والنفوس"[2].

ولكن فكرة الوعي التي نجدها لدى هيغل ليست الوعي بمعناه العام ولا الوعي الذي يمكن أن يتشكل على نحو موضوعي، بل هو الوعي الذاتي هنا الذي نجد من خلاله أن المعرفة الواعية هي معرفة مرتبطة بكل ما يتعلق بتصورات هيغل في سياق فلسفة التاريخ، ومن هنا يكون الوعي مرتبط بالمعنى العام لفلسفة هيغل التي تهدف إلى الكشف عن تمثلات الوعي ضمن المسار التاريخي لوجود الإنسان وانتقاله بالتالي من حالة إلى أخرى، إذ يبدو أن هذا

[1] – هيغل، فريدريك. المدخل إلى علم الجمال، ت: جورج طرابيشي، دار الطليعة، بيروت، 1984، ص135

[2] – هيغل، فريدريك. فن العمارة، ت: جورج طرابيشي، دار الطليعة، بيروت، 1979، ط1، ص35.

الوعي هو الذي ينقل الإنسان ويرافقه في حالاته المتعددة ضمن تعيناته التاريخية، وفي هذا السياق يعلق بعض الباحثين بالقول:" إن هيغل يربط المسار الابستمولوجي للوعي الذاتي ومن اليقين الحسي إلى العقل، بالمسار التاريخي للبشر – من العبودية إلى الحرية– وهذا ما أعطى لفلسفته الطابع العيني الواقعي، فهو يرى أن أحوال الوعي وأشكاله تظهر لنا على صورة وقائع تاريخية وموضوعية والانتقال الذي نلمحه عند هيغل من التحليل الفلسفي إلى التحليل التاريخي هو – في حقيقة الأمر– تحقيق للطابع التاريخي للتصورات الفلسفية الأساسية وبرهنة على هذا الطابع، فكرة التصورات الفلسفية لديه تنطوي على مراحل تاريخية فعلية في تطور البشرية وتعبر عنها"[3].

ومن هذا المنطلق فإن مفهوم الوعي عند هيغل يرتبط بفلسفة الروح لديه ويبدأ هذا الوعي، أي الوعي الذاتي بالتشكل انطلاقاً من الوعي العام، ويتحدد هذا الوعي بأنه وعي الذات بذاتها، وهي لحظة تقوم على التعارض والتصارع بحيث تصل الذات إلى وعيها بذاتها عندما تشكل مركبا جديداً للنقائض أو المبادئ التي أنتجت هذا الوعي، وبمعنى آخر فإن هذا الوعي هو وعي ينتقل " من الوعي إلى الوعي الذاتي، ثم إلى وعي الذات بأنها واعية بذاتها. وقد أدرك هيغل عملية ارتقاء الوعي على أنها عملية جدلية، عملية تشتمل على لحظات متعارضة ومبادئ متصارعة يتم الصراع بينها حتى يتم الوصول إلى مركب نقيضين يضم كل اللحظات وكل المبادئ ويعلو عليها كلها. وكل حل للصراع أو مركب جديد للنقيضين يشتمل بداخل على تلك اللحظات، أو المبادئ أو القوى التي أدت إليه. والتي يمكن أن تعاود نشاطها الجدلي المرتبط بالصراع، مرة أخرى من جديد"[4].

وإذا كنا نتحدث عن مضامين هذا الوعي، وطالما أن وعي الذات لذاتها يقوم على هذا الصراع والتناقض، فإن من مضامين هذا الوعي أيضاً ما يمكن أن نطلق عليه الحب كمضمون أساسي يمنح الذات قدرتها على الوجود، إذ إن الحب هنا ليس الحب بالمعنى الحسي بقدر ما هو الحب الذي يساعد على انفصال الذات عما حولها بهدف إدراكها لهذا الانفصال، ونلاحظ هنا أن مسألة الحب قد شغلت بعض الباحثين الذين يهتمون بمفهوم الحب عبر تاريخ الفلسفة وعلاقته بالوعي الفلسفي بشكل عام ثم كيف ظهر هذا الحب عند هيغل حيث ساعد الذات على تأكيد ذاتها إذ إن" الذات –بحسب هيغل – تبحث في الحب عن تأكيد لذاتها، وعن الخلود، والاقتراب من تحقيق هذه الأهداف ممكن فقط عندما يكون موضوع الحب جديراً بالذات، وذلك بحسب قدرات الموضوع وقواه الداخلية، وبهذا المعنى يكون مساوياً لها، حينئذ يكتسب الحب قدرة حياتية. ويصبح تمظهراً للحياة بمعناها الواسع. يتوق الحب إلى التملك والسيطرة من خلال تحقيقه للجذب وهو بذلك يتجاوز التعارض بين الذاتي والموضوعي، ويرتقي إلى اللانهائي"[5].

وبالإضافة إلى كل من التناقضات الداخلية للذات التي يتضمنها الوعي وكذلك الحب، يمكن أن نضيف الدين طالما أن الدين كان بالفعل قد مثّل عند هيغل مرحلة مهمة في تاريخ تطور الوعي، فإننا نجد أن الدين قد مارس دوراً هاماً في عملية وعي الذات لذاتها وإن كان هذا الوعي عن طريق الفن الذي يعتبره هيغل جانباً من جوانب الوعي الديني، إذ لا يمكن فهم الوعي الفني دون ربطه بالوعي الديني فهناك " لحظة لا يستطيع الفن أن يؤدي دوره كاملاً في تقديم الحقيقة الإلهية، فعندما جاءت المسيحية مثلا بأحداثها التاريخية من ظهور المسيح وما ارتبط بحياته وموته من أحداث دارت حول فكرة الفداء واستمد الفن مضموناً جديداً ظهر في التصوير خاصة فارتقى في إمكانيات التعبير غير أن

---

[3] –غانم، محمد، بسطاويسي، رمضان. فلسفة هيغل الجمالية. المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1991، ص56–57.

[4] –شاكر، عبد الحميد. التفضيل الجمالي. سلسلة عالم المعرفة، العدد 267، مارس، 2001، ص107.

[5] – م. من المؤلفين. فلسفة الحب. ت: هيثم صعب، دار المدى، دمشق، ط1، 2010، ص117.

الحاجة قوية إلى التأمل والتركيز على الباطن وانعطاف النفس على ذاتها جردت الدين من عناصره الحسية ومالت بالحقيقة الإلهية إلى التجريد. فإذا كان العمل الفني يقدم الحقيقة الإلهية أو الروح المطلق في صورة حسية إلا أن الدين يمكنه أن يوجه الذات إلى التأمل والتركيز على الباطن"[6].

يتمثل الوعي الذاتي إذن عند هيغل لحظات أساسية تبدو حاسمة في وعي الذات لذاتها، فالتناقضات الداخلية مضاف إليها الحب والوعي الديني في جانبه الفني، كل هذه اللحظات تشارك في عملية إنتاج الوعي الذاتي الذي هو وعي ضروري لكي تؤكد الذات على ذاتها كذات واعية في التطور التاريخي لوجودها.

ثانياً: حرية الذات الواعية كجزء من الفن:

لعل موقف هيغل من الفن هو الذي يكشف لنا عن حقيقة الفلسفة الهيغلية، التي تريد أن تتتبع مفهوم الحرية داخل التاريخ، ويبدو أن الفن هو الإطار الأساسي لهذه الحرية خصوصاً وأن هيغل ينظر إلى الفن على أنه ما يحدث في التاريخ وأكثر من ذلك، فإن هيغل يماهي بين الفن والتاريخ، فلا يمكن أن يتطور الفن دون حركة تطور التاريخ، وكلما حدث تطور ما في التاريخ رافقه تطور مقابل له في الفن. ذلك أن هيغل وهو يتابع علاقة الفن بالتاريخ فإنه يفتش عن إظهار إنسانية الإنسان من خلال هذه الذات الواعية، إذ عندما تعي الذات ذاتها فإنها لابد أن تؤدي إلى إنتاج مفهوم الحرية، أي حرية الإنسان من خلال الوعي، إذ يصبح بذلك الإنسان المتحرر قادراً على التعبير عن ذاته الواعية من خلال العمل الفني، إذ إن هذا العمل لا يصبح عملاً فنياً إلا إذا كان عملاً قادراً على تحرير الذات الإنسانية وإطلاق مكامنها ومضامينها الروحية والنفسية والعقلية والوجدانية، بحيث نجد أن العمل الفني" هو بمعنى من المعاني تحرير الشخصية. إذ يكون مشاعرنا – بصورة طبيعية– مكبوتة مضغوطة. إننا نتأمل عملاً فنياً، فنشعر بشيء من التنفيس عن مشاعرنا بل إننا لا نشعر بهذا التنفيس فحسب– والتعاطف نوع من التنفيس عن المشاعر– ولكننا نشعر أيضاً بنوع من الإعلاء والعظمة والتسامي، وهنا يكمن الاختلاف الأساسي بين الفن والإحساس العاطفي، فالإحساس العاطفي تنفيس عن المشاعر، ولكنه أيضاً نوع من الارتياح وارتخاء الوجدان، والفن أيضاً تنفيس عن المشاعر، ولكنه تنفيس منشط مثير، فالفن علم اقتصاد الوجدان، إنه الوجدان متخذاً شكلاً جميلاً"[7].

وبمجرد أن تتحقق هذه الحرية في التاريخ فإننا نجد أن الفن هو الذي يحرر الإنسانية جمعاء، لأن الذات الواعية تسلك في التاريخ سلوكاً عاماً، وتصل في النهاية إلى الكشف عن الحقيقة الواعية الذي انتجت حركة تاريخية مرتبطة بحركة الوعي وإيقاظ الانفعالات الإنسانية المتحررة والهادفة إلى التعبير عن الحقيقة تعبيراً واضحاً ذلك أن هيغل قد جعل" الفن خطاباً موجهاً للصدور المستجيبة إنه نداء موجه للعقل والروح، والفن إنما يدور برمته حول إيقاظ الفرح في الإنسان، وهو يشعر الجميع بالجميع، إن هدف الفن قائم في إثارة وبث الحيوية في الانفعالات الحارة والتضمينات والعواطف، في ملء القلب وإرغام الإنسان على أن يستشعر المدى الكلي لنفس الإنسان وهو يستهدف الجمال الذي هو طريقة من الطرق التي يجري من خلالها التعبير عن الحقيقية"[8].

وتحرر الذات الذي أدى إلى تحرر الإنسانية كان قد أفضى إلى تحرر المجتمع ككل، بفضل قدرة الفن على نقل النضوج والتحرر الذاتي إلى نضوج وتحرر اجتماعي –تاريخي بحيث يعبر تطور المجتمعات الإنسانية عن تطور العقل

---

[6] – **حلمي مطر، أميرة. فلسفة هيغل، دار قباء، القاهرة، 1998، ص125.**

[7] **ريد، هربرت. معنى الفن. ت: سامي خبة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1998، ص23.**

[8] – **مجاهد، عبد المنعم مجاهد. فلسفة الفن الجميل، دار الثقافة، القاهرة، القاهرة، د.ت، ص40.**

في التاريخ وتحرره، وهو طموح هيغل نفسه بحيث نجد أن هذا التطور" اقتضى التحقق الكامل للروح أن تنمو المجتمعات لكي تعبر تعبيرا كاملاً عن العقل وتجسده. ما دامت الروح تحقق نفسها في الزمان، ومن هنا نستطيع أن نقول إن هذا التحقق أو الوصول إلى مجتمع يعبر عن العقل هو هدف التاريخ"[9]. وإذ نصل إلى هذه المرحلة مع هيغل في تحقق الحرية الإنسانية انطلاقاً من حرية الذات الواعية فإننا نصل هنا إلى ماهية الروح المطلق عند هيغل حيث نجد أن هذا الروح المطلق الذي يتعين في مجرى التاريخ إنما هو تحقق الروح كذات في العالم وفي التاريخ لأن المضمون الأساسي لفلسفة هيغل إنما هو البحث في تعينات الروح المطلق استناداً إلى مفهوم الحرية نفسه، ذلك أن" الروح ومجرى تطوره، هو الموضوع الجوهري في فلسفة التاريخ، ويمكن فهم طبيعة الروح بمواجهة نقيضه وهو المادة فماهية المادة الجاذبية، وماهية الروح الحرية، والمادة خارج ذاتها، بينما مركز الروح ذاته. فالروح وجود محتوٍ على ذاته"[10].

هكذا يبدو لنا أن تتبع مسار الروح المطلق من حيث ماهية الروح، ومن حيث إن الروح هو وجود منطوٍ على ذاته، فإننا نستطيع القول إن الفن إذ يبلغ درجة تحقق وعي الذات لذاتها متجهاً نحو تحقق هذا الوعي في الإنسانية الكلية، فإنه يكون أي الفن قد أدى إلى الكشف عن الحقيقة الهيغلية المنشودة، وهي هنا الحرية.

وجدير بالذكر أن هذه الحقيقة ليست تجريداً، بل أنها حقيقة تلبس لبوس الواقع وهذا ما ينفي عن فلسفة هيغل التصورات التي ترى في الحقيقة الهيغلية حقيقية مثالية لا ترتبط بالواقع ولا تهتم للحقيقة الواقعية، بل على العكس من ذلك فإن" الحقيقة ذات التجريد الفارغ إنما هي حقيقة ناقصة بمعنى أن الحقيقة الصورية المجردة، هي بالضرورة حقيقة عارية عن الواقع، أي أن الصوري هو أمر منفصل عن الواقع، حيث إن الصوري لا واقع له، فيبقى دائما بلا مضمون، حاليا، وناقصاً ينتظر المحتوى فتتحول الحقيقة الصورية الناقصة إلى حقيقة واقعية كاملة"[11].

هاهنا تكتمل نظرية هيغل الفنية وعلاقتها بتحرر الذات، هذه الذات التي تعبر عن ذاتها الواعية في الأثر الفني الذي يكون كشفاً عن العلاقة الجدلية بين تحرر الذات الداخلي وتحررها الخارجي كما يبرزه التاريخ، وبين ما هو داخلي وما هو خارجي يتمظهر الفن ليس فقط كحالة إبداعية وإنما أيضاً كحالة تستهدف إظهار الحقيقة التي هي هنا الحرية الإنسانية على أنها تطابق تام بين موضوع الفن وشكله، وبين مضمون الفن وفكرة الحقيقة، وأكثر من ذلك فإن الفن يتمظهر هنا كوعي ينطوي على مضمون الحقيقة بوصفها الحرية الواقعية وهو ما يعبر عنه هيغل عندما يرى " إن الأثر الفني يكون أكثر كمالاً كلما تطابق مضمونه وفكرته مع حقيقة أعمق. وليس بيت القصيد هنا سهولة إدراك واستنتاج التشكيلات الطبيعية، كما توجد في الواقع الخارجي، ففي طور معين من تطور الوعي والتمثل الفنيين قد يحدث أن يهمل الفنان أو يلغي عن قصد وليس عن نقص في الخبرة والمهارة التقنيين، هذه التشكيلات الطبيعية أو تلك لأن ذلك هو مطلب المضمون المتواجد في وعيه"[12].

أما كيف يعّبر الفن عن التجربة الواعية للذات، فذلك ما يمكن أن نجده في قضية علاقة الفكر بالتجريد، وعلاقة الروح المطلق بالواقع ، وكذلك علاقة الروح المطلق بالتاريخ نفسه لنجد أن ما تصل إليه هذه العلاقة بين هذه الأشكال

---

[9]– **Charles,taylor. Hegle, Cambridge university press, 1975,p.389.**

[10] – **رسل، برتراند. تاريخ الفلسفة الغربية، الفلسفة الحديثة، ت: محمد الشنطي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية، 1977، ص36.**

[11] – **غانم، محمد، بسطاويسي، رمضان. فلسفة هيغل الجمالية. مرجع سبق ذكره، ص28.**

[12] –**هيغل، فريدريك. المدخل إلى علم الجمال. ت: جورج طرابيشي، دار الطليعة، بيروت، 1984، ص131–132.**

إنما هو الوصول إلى الحياة التي هي الغاية المقصودة من وراء فلسفة هيغل في الروح المطلق والحرية والتاريخ، فالحياة تتشكل من خلال وعي الذات لذاتها وهي إذ تصل إلى هذا الوعي فإن الذات تصبح قادرة على نقل التجربة الذاتية لتصبح تجربة كلية عبر التاريخ، هذا التاريخ الذي هو عند هيغل" عرض للروح، وماهية الروح الحرية ومن ثم كان مسار التاريخ هو تقدم الوعي بالحرية، لكنها ليست حرية فردية سلبية تعسفية، ومعنى ذلك أن التاريخ عند هيغل غائي، فكل ما يحدث له معنى، وله ما يبرره. والغائية هي الجانب الموضوعي الذي يمثل الضرورة في هذا المسار. لكن الضرورة – أو الجانب الموضوعي– لا تعمل وحدها فهناك الجانب الذاتي الحر للأفراد، ومن ثم كان التاريخ ارتباطاً وثيقاً بين الضرورة والحرية، والدافع لهذه الحركة هو التناقض الموجود بين الواقع الخارجي وما تريد الروح أن تحقق"[13].

على هذا النحو يتحقق وعي الذات بوصفه الحرية في التاريخ، وأما الحرية فهي الحقيقة الناجمة عن هذا الوعي وهي حقيقة كاملة متعينة في الواقع وليست حقيقية تجريدية طالما أن الروح المطلق لا يمكنه أن يتجلى في التجريد، بل لابد أن يتجلى ويتعين في الواقع وكل ذلك يحدث من خلال الفن الذي يعبر عن هذا الكلي في الحياة الإنسانية.

ثالثاً: نظرية الفن بين المعرفي والتاريخي:

يمكن القول إن هناك عملية جدلية واسعة بين ما هو معرفي وما هو تاريخي، وذلك يعود إلى العلاقة الجدلية أيضاً بين الشكل والمضمون داخل الفن عند هيغل، دون أن نستبعد هنا تركيز هيغل على الحالة المنهجية للفن والأعمال الفنية وبالتالي تركيز هيغل على الإبداع الإنساني في مجال الفن، ذلك أن هذا الفن من وجهة نظر هيغل يسعى إلى توحيد المتعدد على صعيد المنهج ويلاحظ الباحثون ذلك، فمنهم من يرى أنه" لابد للعمل الفني من أن يكون ثمرة لعملية منهجية خاصة، ألا وهي عملية تنظيم العناصر التي تتألف منها حركته، فإن هذه الحركة هي الكفيلة بأن تخلع عليه طابعاً زمانياً يجعل منه موجوداً حياً تشيع فيه الروح. ومعنى هذا أن العمل الفني لابد أن يصدر عن مهارة إبداعية تركب الحركة ابتداءً من الساكن، وتحقق الزماني ابتداء من المكاني، وهنا يستعين الفنان بأساليب الإيقاع والتنظيم والتناسب من أجل فرض ضرب من الوحدة على ما في موضوعه من تعدد في الأشكال أو الحركات أو الصور"[14].

إن هذه اللحظة المنهجية في العمل الفني تحتمل دلالات معرفية وانطولوجية وتاريخية لقيمة ودور الفن خصوصاً وأن ما يهدف إليه هيغل هو أن يجعل من الفن معرفة منهجية للوجود، فليس المهم عند هيغل مضمون الفن أو مادته، بقدر ما يهتم هيغل للوظيفة المعرفية للفن بحيث يمكن للفن أن يحول المنطق نفسه إلى حالة حسية وجمالية، وفي هذا الشأن يلاحظ باحثون أهمية ما هو معرفي عند هيغل بقولهم" وأما هيغل فإنه يركز على الجانب المعرفي في الفن لأن الفن هو التجلي المحسوس للمنطق، عنده هو الوجود الواقعي بما فيه من روح لا متناه أو عقل كلي أو مبدأ خالق، والطبيعة والفكر حالات له، وهو يرى من أجل فهم الوجود في تسلسل مظاهره ضرورة اتباع منهج منطقي بين هذا التسلسل ابتداء من أصل واحد هو القضية تفرز نقيضها، ثم تأتلف مع هذا النقيض، ويتكرر هذا التطور الثلاثي"[15].

فالمهم إذا هو أن يعبّر شكل الفن عن حالة معرفية بالإضافة إلى الحالة الجمالية، وحتى في حالة التجريد فإن الفن لابد أن يصبح عيانياً، بل أن قيمة الفن ليست في هذا التجريد الذي يمكن أن يغرق في العمل الفني كما أنها ليست، أي قيمة الفن فقط في الجانب الجمالي، بل إن الفن لابد أن يقدم معرفة لكي تمتلئ الذات الإنسانية بهذا الإشباع لما هو

---

[13] – هيغل، فريدريك. العالم الشرقي. ت: إمام عبد الفتاح إمام، دار التنوير، بيروت، ط3، 2007، المقدمة ص7.

[14] – ابراهيم، زكريا. فلسفة الفن. مكتبة مصر، القاهرة، د.ت، ص31.

[15] – وهبة، مراد. قصة علم الجمال، دار الثقافة الجديدة، القاهرة، ط1، 1996، ص44.

معرفي داخل ما هو فني، وبالفعل فإنه، أي الفن" مهما كان مجرداً – لابد له أن يتحقق أي يصبح عينياً، والذات دائماً لا تكتفي بالمضمون مهما كانت قيمته، وإنما تطلب تعيناته الفنية لكي تلبي حاجة لدى الذات بعدم كفاية المضمون المجرد ومن هنا تنبع ضرورة الفن، لأن الفن في جوهره ينبع من خلال تموضع المضمون الذاتي وتحققه في شكل خارجي"[16].

وإذا أردنا السير أكثر في عملية هذه العلاقة بين المضمون والمعرفة وبين الفن بشكل عام وما يجب أن يقدمه على المستوى المعرفي، فإننا مع هيغل نصل إلى ما هو أكثر من ذلك، أي نصل إلى ما يطلق عليه نقاد النظرية الهيغلية في الفن بالعلاقة بين الماهية والتاريخ، ذلك أننا بالعودة إلى مجمل النظرية الهيغلية حول الروح المطلق وتحققها في التاريخ نكتشف هذا الجدل أيضاً بين ماهية الفن والتاريخ، بحيث يبدو لنا أن الشكل الفني هو التاريخ والعكس صحيح، أي أن التاريخ يعبّر عن نفسه في الشكل الفني والجمالي في حين أننا إذا بحثنا عن ماهية التاريخ، لوجدنا أن ماهية التاريخ هي المضمون، أي مضمون الفن وهذا هو ما يمكن أن نسميه الضرورة والطبيعة لدى هيغل بحيث يمكن القول بأن النشاط الإنساني الفني هو نشاط تاريخي وهو يعبّر عن أمرين أساسين هما: شكل الروح من جهة وتعينها من جهة أخرى.

وهكذا نصل إلى هذه العلاقة الجدلية بين المعرفي والتاريخي في نظرية الفن عند هيغل.

الاستنتاجات والتوصيات

مما سبق يمكن أن نستنتج أن الوعي يمثل هدفاً أساسياً للفلسفة الفنية عند هيغل، وبشكل من الأشكال فإن نظرية الفن عند هيغل تستند بشكل أساسي إلى وعي الذات لذاتها، ولكن هذا الوعي محكوم بكيفية تحرر الذات من خلال المعرفة، هذه المعرفة التي تدخل في علاقات جدلية يعبّر عن هذه العلاقات كل من الشكل الفني والمضمون، بحيث تنتهي فلسفة هيغل الفنية إلى القول بإن التاريخ هو ماهية العمل الفني وأن مضمون الفن يقوم على هذه الماهية، وذلك لاعتبارات تتعلق بنظرية هيغل الفلسفية العامة طالما أن فلسفة هيغل تستند إلى فكرة الروح المطلق وتعيناته في التاريخ، هذه التعينات التي نجدها ملتبسة بكل من الحقيقة والحرية والوعي الذاتي.

المصادر والمراجع:

1. هيغل، فريدريك. المدخل إلى علم الجمال، ت: جورج طرابيشي، دار الطليعة، بيروت، 1984،
2. هيغل، فريدريك. العالم الشرقي. ت: إمام عبد الفتاح إمام، دار التنوير، بيروت، ط3، 2007.

[16] – **غانم، محمد، بسطاويسي، رمضان. فلسفة هيغل الجمالية، ص103.**

3. غانم، محمد، بسطاويسي، رمضان. فلسفة هيغل الجمالية. المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1991.
4. شاكر، عبد الحميد. التفضيل الجمالي. سلسلة عالم المعرفة، العدد 267، مارس، 2001.
5. م. من المؤلفين. فلسفة الحب. ت: هيثم صعب، دار المدى، دمشق، ط1، 2010.
6. حلمي مطر، أميرة. فلسفة هيغل، دار قباء، القاهرة، 1998.
7. ريد، هربرت. معنى الفن. ت: سامي خبة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1998
8. مجاهد، عبد المنعم مجاهد. فلسفة الفن الجميل، دار الثقافة، القاهرة، القاهرة، د.ت.
9. Charles,taylor. Hegle, Cambridge university press, 1975
10. رسل، برتراند. تاريخ الفلسفة الغربية، الفلسفة الحديثة، ت: محمد الشنطي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية، 1977.
11. ابراهيم، زكريا. فلسفة الفن. مكتبة مصر، القاهرة، د.ت.
12. وهبة، مراد. قصة علم الجمال، دار الثقافة الجديدة، القاهرة، ط1، 1996،

Works Cited;

- Hegel, friedrick. inTroduction to Aesthetics, translated by George Tarapishi. Dar, Altleeaa , Beirut,1989.
- Hegel, friedrick.Oriental world, Beirut Emam Abd Al Fattah emam,dar al tanweer, Beirut,2007.
- Ghanem, Mohamad, Bistaweesy, Ramadan. Hegel's aesthetic philosophy. University foundation of studies and publishing, Beirut,1991.
- Shaker, Abd AlHameed, the aesthetic preference Series of Alam Al maarefa, number 267, mars, 2001.
- From the authors. Love's philosophy, translated by Haitham Saab, Dar Al Mada, Damascs,2010.
- Helmi Matar, Amira. Hegel's philosophy, Dar Kabaa, Cairo, 1998.
- Red ,Herbret. The meaning of art, translated by Sami khepa, Egyptian General Organization Actherity for books, cairo, 1998.
- Mojahed, Abd Almonem Mojahed, fine Art's philosophy, Dar Al thakafa, cairo, D.T.
- Charles,taylor. Hegle, Cambridge university press, 1975.
- - Russell, Bertrand. *A History of Western Philosophy (The Modern Philosophy)*. Trans. Mohammad Fathi al- Shinity. General Egyptian Book Organization, 1977.
- Ebrahim, Zakaria. Philosophy of Art . Egypt library, cairo, D.T.
- Wahba Morad, the story of Aesthetics, Dar Al Thakafa Al gadeeda, cairo, 1996.